التّمثّلات الثّقافيّة والمعرفيّة في رواية "مملكة الفراشة" ل"واسني الأعرج"

Cultural and epistemological representations in the novel “The Kingdom of ”the Butterfly” by “Wasni Al Aaraj

د. سامية غشّير

جامعة حسيبة بن بوعلي– الشّلف – الجزائر –

الملخص:

تحفل رواية "مملكة الفراشة" لواسيني الأعرج بالعديد من التمثلات الثقافية والمعرفية، إذ تنفتح على العلوم الأخرى وتنهل منها كالتّاريخ وعلم الاجتماع والسّياسة والدّين والفلسفة وعلم الأدب على اعتبار أنّ النّص الأدبي نتاجًا ثقافيًّا يجمع جملة من الأنساق المختلفة.

وفي ضوء ما تقدّم تهدف هذه المداخلة إلى إلقاء الضوء على مختلف التمثلات الثّقافيّة والمعرفية التي تزخر بها رواية "مملكة الفراشة "، و ذلك بتطبيق نظرية النقد الثقافي من أجل الكشف عن العناصر المضمرة داخل النّص الأدبي مثل الأنساق السياسية والاجتماعيّة كالأزمة الجزائريّة والبحث عن الهوية، والأنساق الحضارية كالجسد والمرأة والموسيقى والرّسم، والأنساق الفلسفيّة كقضايا الحبّ والموت والعشق الصّوفي، التي يحاول من خلالها " واسيني الأعرج " تقديم رؤيته الإيديولوجيّة، وقد اعتمدنا في المداخلة على خطّة بحث كالآتي:

–التمثّلات الثقافيّة والمعرفيّة في رواية "مملكة الفراشة":

أ– النسق السياسي الاجتماعي الايديولوجي: حقائق تاريخية: الأزمة الجزائريّة/ كشف أقنعة الأنظمة العربيّة.

–اللّغة العربية/ اللّغة الدارجة/ الهوّية/ الدّين كمنهج لفهم الحياة

ب– النسق الحضاري: الجسد/ الكيان الثقافي الرمزي/ الفيسبوك/ التّحاور الثّقافي الإنساني / الموسيقى/ البحث عن الوطن/ فن الرسم/ ثقافة الحياة والفرح

ج– النسق الفلسفي: الحب/ تحقيق السعادة والتجدّد/ الموت / البحث عن الخلود/ الفراشة/ العشق الصّوفي.

–خاتمة.

كلمات مفاتيح :

النقد الثقافي ، الهوية ، الحياة ، العشق الصوفي .

Summary

The Kingdom of the Butterfly" novel by Wassiny is laden with many cultural and epistemological representations, as " it opens to other sciences, including history, sociology, politics, religion, philosophy, and literature, given that the literary text is a cultural product that combines a number of different forms.

In light of the above, this intervention aims to shed light on the various cultural and episodic representations that abound in the novel "The Kingdom of the Butterfly", by applying the theory of cultural criticism in order to reveal the elements contained within the literary text such as political and social systems such as the Algerian crisis and the search for identity, and the patterns Civilization, such as the body, the woman, music, painting, and philosophical systems such as the issues of love, death, and Sufi love, through which "Wasen Al Aaraj" attempts to present his ideological vision, and we have relied in :the intervention on a research plan as follows.

:"Cultural and epistemological representations in the novel "The Kingdom of the Butterfly

.A- The ideological political political system: historical facts: the Algerian crisis / exposing the masks of Arab regimes Arabic / common language / identity / religion as a method for understanding life

B- Civilization theme: the body / symbolic cultural entity / Facebook / human cultural dialogue / music / searching for the home / art of painting / culture of life and joy

C- The Philosophical Format: Love / achieving happiness and renewal / death / the search for eternity / butterfly / mystical .love

..Conclusion -

Keywords:

Cultural criticism, identity, life, and Sufi love

1- في نظرية النقد الثقافي:

لقد أسهمت نظرية النقد الثقافي في الكشف عن قبحيات العمل الأدبي، فهدفها لا يكمن في " إلغاء المنجز النقدي الأدبي، وإنما الهدف هو في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخالص وتبريره (وتسويقه) بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه."**(1)**

فالدراسات الثقافية تقف على "عمليات إنتاج الثقافية وتوزيعها واستهلاكه، وهذه بما إنها تمثل الإنتاج في حال حدوثه الفعلي فإنها تقرر مصير أسئلة الدلالة والإمتاع والتأثيرات الإيديولوجية."**(2)**

ويمثل النقد الثقافي اتجاها جديدا يهدف إلى الكشف عن الأنساق الفكرية السائدة المترسبة، تحت تربة الجمالي البلاغي، ويحاول هذا النوع من النقد أن يغوص فيما وراء الكلمات، وما يحيط بها بغض النظر عن كون النص يحظى بقدرات بلاغية أم لا، مع الاهتمام بالأفكار والمعاني."**(3)**

فالدراسات الثقافية والنقد الثقافي مصطلحان متداخلان يدلان تحديدا على الدراسات التي تشتغل بصورة مركزة على تفكيك البنى الثقافية، وتحييث علاقاتها، والإحاطة بأنساقها، ومهيمنات إنتاج المعاني الإيديولوجية، وتشريح الإيديولوجي/ المؤسساتي، وكشف السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية، ومعرفة مرجعيات الخطاب الثقافي."**(4)**

تشكل الأنساق الثقافية المضمرة حجر الزاوية للنقد الثقافي، إذ تشتغل المنظومة النقدية الثقافية في كل تنظيراتها على نظرية الأنساق المضمرة، والتي عبارة عن مجموعة من الترسبات تتكون عبر البنية الثقافية الحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عبتءة النصوص المختلفة، تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص، وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية، وينجذب إليها المتلقون دونما شعور منهم لأنها اصبحت تشكل جزءا هاما من بنيتهم الذهنية والثقافية."**(5)**

2- **الأنساق الثقافيّة والمعرفية في رواية "مملكة الفراشة:"**

1- النسق السّياسي الاجتماعي الإيديولوجي:

- النّسق السّياسي الإيديولوجي:

- حقائق تاريخيّة: الأزمة الجزائرية/ كشف أقنعة الأنظمة العربيّة:

يفتتح الرّوائي واسيني الأعرج في رواية "مملكة الفراشة" مذكّرات التاريخ السّياسي، ويعالج موضوعا حساسا جدا، إذ يحاول تعرية السلطة السياسية في جزائر التسعينيات، عبر خطاب سردي "مضاد انتهاكي مشكك تهكمي، يقوض مزاعم نظام الحقيقة الذي تحتمي به السلطة في تسويغ عنفها."(6)

يتطرق الروائي إلى قضية هامة جدا وهي قضية الأزمة الوطنية، ويعرض آثارها الوخيمة، فالرّواية انفتحت على زمن عربيد، مأساوي، سوداوي عنيف جدا، فهي تؤرخ لتلك المحطات الصعبة المؤلمة التي أرهقت الوجدان وأثقلت العقل البشري وجعلته عاجزا مقيدا "لقد خرجنا من ظلمة كبيرة بسرعة لم نكن مهيئين لها وبدأنا من حيث لا ندري، بدأنا نصنع موتنا الخاص، كل في عزلته وفي مكانه، ومع أداته النّي يصنعها لتقتله في النهاية."(7)

فالروائي يكشف سبب ولوج البلاد دوامة القتل والموت بفعل فساد الأنظمة السياسية، وتكالب الاحزاب على كرسي السلطة، دون الاهتمام بمستقبل البلاد. فالحرب الأهلية لا تزال موجودة بسبب إخفاق السلطة في تحقيق الأمن والأمان للشعب الجزائري "من قال إن رب هذه الحرب انتهت ما دام الموت حاضرا، وربما أكثر مما كان عليه. على مدار العشر سنوات الحارقة أكلت الحرب الأهلية أكثر من 200 ألف إنسان، الجزء الأكبر منهم لم تكن هذه الحرب حربه. لم يكن هو من أشعلها ولكن كان عليه إخماد نارها بجسمه ولحمه؟ وكم أكلت منذ أن توقفت؟."((8

لقد عرت الرواية المسكوت عنه/ تابو السياسة، وفضحت قمع وفساد السلطة السياسية، فالروائي يبحث في أكثر المراحل التاريخية ظلمة، ويحاول تشريح خيبات المجتمع الجزائري، من خلال الوقوف عند أبرز حدث في تاريخ الجزائر المعاصرة، والمتمثل في العشرية السوداء، فالرواية تكشف عن المضمرات الخفية التي حملتها تلك المرحلة، والتي ما زالت تنعكس في حاضرنا المؤلم، ففساد السلطة مازال ممتدا، وتلاعباتها بمصير الشعوب العربية، فالرواية تفصح عن نسق سياسي/ اجتماعي هادم لذات الإنسان/ الوطن، فتلك المرحلة (الحرب الأهلية) التي عاشتها الجزائر سنوات التسعينيات هي صورة انعكاسية للكثير من البلدان العربية، التي لا تزال تدفع ثمن فساد جهاز السلطة الذي يتمظهر في الرواية في صور أكثر وحشية ودموية، فالرواية تعبر عن " بشاعة عالم السلطة في سيرورته التدميرية للفرد، تختار الرواية

على مستوى أشكال التخييل، تشخيص العالم في شكل الهجاء، بمعنى أنها تقدم العالم الروائي (الخيالي) في صورة أسوأ من العالم الحقيقي، حيث يؤكد عالم الهجاء القبح والفوضى. فالرواية تعبر عن مأزق عالم بشع، محكوم بحتمية السلطة، ينتقل من سيء إلى أسوأ."**(9)**

- النّسق الاجتماعي:

- اللّغة العربية/ اللّغة الدارجة:

تجسّد اللّغة الكيان الثّقافي لأيّ دولة، فاللغة تتمتع بقدرة فائقة على "إنتاج الدلالات والمعاني المخبوءة فيما وراء الأبنية السّطحية الخارجيّة لها."**(10)**

فاللغة العربية هي لغة الكتابة المرتبطة ارتباطا عميقا بالهوية الثقافية الجزائرية، وقد وظفت في الرواية للدلالة على المستوى الثقافي العالي الرفيع للشخصيات الروائية التي تتمتع بمستوى ثقافي كبير، فاللغة العربية لغة ذات حمولات ثقافية وفكرية وسياسية ودينية متعددة "كنت فعلا مهيأة مثل مراهقة لأن أحكي لفاوست عن كل شيء، حتى عن رسائلي الملونة التي أكتبها كل ليلة بحثا عنه، وأخبئها في درجي السحري حتى تراكمت وأصبحت كثيرة. هبلي الأول كان ليلة ميلاده. ليلتها اقترفت أول رسالة له: " فقط تعلم كم أنت في قلبي. ولكنك لا تعلم. غدا عيد ميلادك يا مسيحي الصغير. سيأتي وأنت بعيد عني. ستمضيه أية امرأة غيري..."**(11)**

فاللغة العربية الفصيحة تبرز المستوى الرفيع لمستعمليها، وتمتعهم بمخزون لغوي بياني كبير.

نلحظ في الرواية تداخل لغوي، حيث وظّف الرّوائي نمطين من اللّغة، لغة عربيّة فصيحة ولغة دارجة تجسّد الأصالة والرّوح الثّقافيّة اللّغويّة.

وظّف " الأعرج" في روايته لغة شعبيّة عاميّة موازاة مع اللّغة الفصحى، فاللّغة الشّعبيّة العاميّة تمثّل جزء هامّا من الهوية الثّقافيّة الجزائريّة، فاللّغة العاميّة متميّزة بمعجمها الثّري الحامل لدلالات وأنساق

عديدة، كما تعد وسيلة هامة لتحقيق التّواصل، وتتمظهر اللغة الشعبية في محطات كثيرة منها: "قالت أمي وهي تحاول أن تسترجع أنفاسها المتقطعة :

-حابة نشوف وليدي رايان فقط.

-أنا يا يما ما نعرفش رايان. لا حاجة لي الأسماء أصلا، اعطيني رقمه أقول لك من؟

-وليدي اللي دخل الأن يجري أمامك .

-أعرف. اللي قتل مربي خيول القصر الجمهوري. السبعي.

-وليدي سبع ونص."**(12)**

- الهوّية: الدّين كمنهج لفهم الحياة:

تركز الرواية على مفهوم الهوية كونها تمثل أساس الوجود الإنساني، وقد عنيت الدراسات الثقافية بإشكالية الهوية التي تشكل نسقا ثقافيا حاملا لجملة من العلامات والدلالات " وتعد إشكالية الهوية من منظور ثقافي أهم الإشكاليات التي طرحتها فلسفات ما بعد الحداثة، إذ كان الاختلاف حادا في تأكيد مفهومها وماهياتها ومكنوناتها."(13)

يعدّ الدّين من أبرز مقومات الهوية العربية الاسلامية، فهو يمثل كيانها وجوهرها، ويختزل تعاليم الحياة الدّنيا والآخرة، فهو مخزون فكري وإنساني لا ينضب. كما يبرز الصفات الخلقية الحميدة في الإنسان.

من خلال الرواية نلحظ حضور هذا المقوم الهوّياتي بقوة، إذ يبرز جانب الشخصية الدينية التي نهلت تعاليم الإسلام ومبادئه من والدها وجدتها، فالروائي أراد أن يبرز الجانب المتأصل في الفرد الجزائري.

فبطلة الرواية "ياما" أبرزت جانبها المتدين من خلال وقوفها على فهم حوادث القتل والعنف بالعودة إلى القرآن الكريم، وتفسير طبيعة أولئك الأشخاص، وجزائهم، حيث تؤكد قولها بالعودة إلى القرآن الكريم " . .. أنا مثلك مهبولة على الحروف والأبجديات ولكن على القرآن، سافرت من هنا للقاهرة فقط لأسمع للشيخ عائض القرني في معرض الكتاب وهو يمنحنا ما لا نعرفه في منجزه العظيم: لا تحزن. حكمة عظيمة قليلا ما نجدها عند إنسان. سافرت ولم أسأل عن التكلفة. بعت أساوري وأساور أمي القديمة لشراء بطاقة السفر، وركضت نجوه. كنت على يقين أن في كل خطوة كنت أخطوها كانت ترتسم حسنات بلا حدود."(14)

ويتمظهر توظيف القرآن في محطات كثيرة من الرواية منها:" ثم قست قلوبكم فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشيةِ الله، وما الله بغافل عمّا تعملون."سورة البقرة [74]

ب- الأنساق الحضاريّة:

- جسد المرأة/ الفيسبوك/ الموسيقى:

- جسد المرأة/ الكيان الثّقافي الرّمزي:

اهتمت الدراسات الثقافية بمواضيع عديدة ذات أهمية بالغة مثل "الهوية وعلاقات الذات بالآخر، ودراسات النوع التي تتناول التمثيل من أجل كسر الثنائيات التي غذت تسير علاقة الأنا بالآخر في مختلف المجالات، والنقد الثقافي ليس دراسة جمالية للأدب بل هو بحث في المخفي وغير الظاهر في النصوص الأدبية."**(15)**

يمثّل الجسد قيمةً حضاريّة ثقافيّة تحمل عديد الدّلالات الماديّة والرّمزيّة، فالرّواية المعاصرة تناولت الجسد كفضاء رمزي أكثر منه مادّي لتمرير رسائل إيديولوجيّة مختلفة، والتّعبير عن واقع إنساني ثقافي

يمثّله الجسد كونه يعدّ أداة ثقافيّة للتّواصل الإنساني، فقد لاقى الجسد/ الجنس حضورًا لافتًا في رواية "مملكة الفراشة"، فالجشد يمثل "فعل ثقافي من ناحية التلقي ، ومن ناحية المعاملة والاستخدام، ليتحول إلى مخزون الفعل التراكمي عند الإنسان من كلا القرينين، حتى بدت صفة الاهتمام والاعتناء به مرافقة له في كل مرافق الحياة."**(16)**

فالجسد في الرّواية يمثّل أداة تواصل وتفاعل للتّعبير عن مواقف وأحاسيس شخصيات الرّواية اتجاه بعضها البعض، إذ أنه يلعب دورًا وظيفيًّا في إيصال الأفكار والمشاعر والرّسائل والتي في الغالب تختزل في الحركات، ونجد كل حركة جسديّة لها معنى محدّد ومقصود خاصّة وأنّ حركات الجسد في أغلب الأحيان تفوق بلاغة الكلام، فيكون التّعبير بالجسد أفضل وسيلة لتبليغ أفكار وأحاسيس الشّخصية للآخر، فالتعبير عن الجسد في الرواية لا يكون في وصف و" استدعاء لأعضائه الحسية المسماة "الجسم" وإنما الجسد في بعده الأنطولوجي كذاكرة وإحساس أو حقل لتوقيعات الحدث والحاضر."**(17)**

فالظاهر أن نسق الشهوانية والفحولة الذكورية تظهر في كثير من أعمال " واسيني الأعرج" إذ تظهر في كثير سياق حديثه عن الجسد، فيصوره بصور شهوانية ساقطة بتفاصيله ومناطق الإغراء المختلفة، لكن في رواية "مملكة الفراشة" تحول النسق من صورة الجسد الشبقي الشهواني إلى صورة الجسد المنهوك المعذب الذي أرهقته سنوات العشرية السوداء، وجعلته جسدا خامدا، أسير الفناء والعبث.

فجسد المرأة في رواية "مملكة الفراشة" تحرر من الدلالات الحامل لها في الثقافة (الجمال، الهيف، الشبق)، ومن الدلالات التي دل عليها الجسد نجد نسق الانكسار والانهيار والضياع والعبث، وهي دلالة على حالة الإنهيار والوهن التي يعيشها الوطن.

يتمظهر الجسد في مساحات واسعة من المتن الروائي، فالجسد مثل في الرواية بناء ثقافي رمزي للدلالة على جسد الوطن المنهوك المعذب الذي أثقلته الحروب والأزمات، ولم يعد قادرا على المقاومة

والصمود في ظل تصاعد الأزمات والمحن التي عصفت به إلى مستنقع التيه، فالحرب الصامتة أهتكت كيانه، وفتقت جروحه، فسكنته العتمة، وأرهقته عزلة الضياع والعتمة، فكل شيء كان يحيل على المأساة، فجسد البطلة " ياما" هو تجسيد رمزي لجسد الوطن المعذب المنهوك "هي سلسلة من الإنذارات يطلقها الجسد المتعب ليتفطن إلى أن المسألة أصبحت أكثر جدية.

أن جسدك يحتاجك وأنت قسوت عليه كثيرا طوال الأيام الماضية، يجب أن تهتمي به قليلا، كأن تهوني عليه بعض الشّيء وإلا سيتعقد كلّ شيء ويصبح ما يمكن استدراكه اليوم، مستحيلا غدا."(18

والجلي أن حالة الوطن العابثة قد أثرا على الشخصيات الروائية، إذ نجد نسق الهشاشة والضعف الدال على خيبات الشخصيات الروائية في الوطن، إذ احتمت بالواقع الافتراضي كسبيل للبحث عن ملاذ لها في ظل وطن يبعث على الألم والمأساة، فسراب الفيسبوك كان أفضل من سراب الوطن المهلوك المعدم، حيث تقول " ياما" : "لم أنسى أن الحياة المادية اليومية كانت قاتلة، وكنت مجبرة على عيشها، وحياة افتراضيى لم أجدها إلا مع الكتب، ومع فاوست، وكنت سعيدة بها."(19)

فالجسد في الرواية قد حمل في احدى مضمراته الخفية التواصل مع الآخر، فبطلة الرواية (ياما) وجدت كينونة جسدها بتواصلها الحميمي مع المخرج المسرحي (ديف) الذي

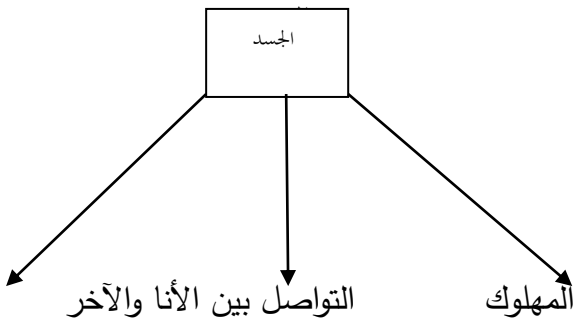

- الفيسبوك: التّحاور الثّقافي الإنسانيّ:

يعدّ الفيسبوك من أبرز شبكات التواصل الاجتماعي التي حققت نقلة كبيرة وحققت التّفاعل في جميع دول العالم، فالفيسبوك من "الشّبكات الاجتماعيّة هي شبكة مواقع فعّالة جدّا في تسهيل الحياة الاجتماعيّة بين مجموعة من المعارف والأصدقاء، كما تمكنّ الأصدقاء، كما تمكنّ من الأصدقاء القدامى من الاتصال بعضهم البعض، وبعد طول سنوات، وتمكنّهم أيضا من التواصل المرئي والصّوتي وتبادل الصّور وغيرها في الإمكانات التي توطّد العلاقة بينهم."(20)

فالفيسبوك يعد من الوسائط التكنولوجيّة الهّامة جدّا التي تسهم في تحقيق تقارب الشعوب، وتحقيق التفاعل الثقافي الإنساني، ونقل الثقافة المحلية إلى مناطق كثيرة من العالم، وقد تجسد هذا التفاعل في الرواية من خلال شخصيتي "ياما" الجزائرية و"ديف" الإسباني، حيث ساعد هذا التفاعل في تجسير أواصر المحبة والعطاء بينهما، والتنفيس عن نفسية "ياما" الحزينة المثقلة بهواجس الماضي المؤلم، ماضي أرهق عقلها، وفتق جروحها، وشتت ثقافتها، فأرادت من خلال فضاء الفيسبوك التّنفيس عن مواجعها وآلامها التي شكلتها الحرب الأهلية وما نجم عنها من ميلاد الحرب الصامتة التي أدخلت القلوب مستنقع الخوف، الفزع، والقلق "... أحبّ الفيسبوك لأنّه يربطني بالعالم الخارجي المغلق، حاولت أن أتفاداه مرة أخرى ولكني لم أستطع. شيء أكبر مني يدفعني نحوه ونحو هذه الزرقة التي جعل منها مارك زوكيربيرغ سكنا لكل العابرين بلا زاد ولا خوف..."**(21)**

فالفيسبوك يعد وسيطا تكنولوجيا هاما جدا في عصرنا الحالي، يؤدي إلى تقصير الحدود، والانطلاق إلى فضاءات أرحب، فهو فضاء افتراضي يهرب بالإنسان من رداءة واقعه ليدخله جوا مشحونا من الفرح، الجمال، الشاعرية، يرسم له فضاءات جديدة مزهرة بملامح الحياة الآسرة السعيدة "أنا لا أملك الأسلحة الجبارة التي أقاوم بها خوفي ووحدتي إلا هذه المملكة الزرقاء التي تسمى الفيسبوك."**(22)**

– الموسيقى/ البحث عن الوطن:

يحضر فنّ الموسيقى في الرّواية، حيث يتخذّ منه الرّوائي كموتيف سردي يتحدّى به قساوة الحياة فالرّوائي لم يجد طريقة أفضل و أرقى من مقاومة بشاعة الواقع غير ثقافة الموسيقى كونها تمثّل ثقافة عالميّة، وما تولدّه هذه الأخيرة من سحر و أمل وتحدّي، فالموسيقى تساهم في استثارة أعماق الذّات الإنسانيّة فهي "فنّ المشاعر وتقلّبات الرّوح"**(23)**

يستحضر الرّوائي هذا الفنّ كفنّ مقاوم، مناهض يتحدّى به الحرب الصّامتة التي لم تولّد غير العنف والموت، حيث أضفت الموسيقى أطياف من المحبّة الغامرة والثّقافة الرّاقيّة، جعلت تلك الفراشة تبسط أجنحتها وتغمر بنورانيتها مساحات الرّواية. ف " ياما الفتاة الحالمة الشّفافة أرادت أن تبحر بموسيقاها في أرجاء مملكتها لعلّها تنسى وجع تلك الحرب التي أخذت منها كلّ الأحبّة، ويظهر ذلك من خلال انضمامها إلى فرقة " ديبو– جاز (Dépôt– gazz) "فهاهي تذكر سبب عودتها إلى تلك الفرقة الموسيقيّة، تقول "عودتي إلى فرقة ديبو– جاز (Dépôt– gazz) أراحتني كثيرا هي بيتي وذاكرتي حتى ولوغاب اليوم عن الفرقة الكثير ممن كنت أحبّهم، كانت لحظات جميلة من مخزن الجاز، أنستني همّ الرّكض بين مختلف الإدارات لتوقيف قرار الصّيدليّة التي أحرقتها حربهم الصّامتة..."**(24)**

ف " ياما" لم تجد طريقة أفضل وأرقى من مقاومة الموت غير ثقافة الموسيقى، وما تولدّه هذه الأخيرة من سحر وأمل وتحدّي، فهي تتحدّ بآلات الهارمونيكا تلك الآلة البسيطة التي بواسطتها أن تصنع ياما مملكتها الخاصّة، وتبسط جناحيها في فضائها الشّفاف، تقول " ياما" " فقد علقت الهارمونيكا مثلا على الحائط كاللّوحة الفنيّة، فهي ميراثي الوحيد، كان يدهشني بعزفه وهبلي الموسيقي، كيف تستطيع آلة صغيرة تسكن بين كفيّه أن تغيّر كلّ مزاج الحضور، وتضع عالما موازيا غريبا."**(25)**

يستحضر" الأعرج" جملة من الآلات الموسيقيّة: آلات الكلارينات، السّاكسو، القيتارة، الكلانيه الباس، الباتري، والطّبل الإفريقي، الهارمونيكا والقيتارة الكهربائيّة والبيانو، وتتفاعل هذه الآلات الموسيقيّة

في مساحات الرّواية لتعزف في تلك المملكة نوتات الفرح، فالرّوائي استحضرها كسلطة ثقافيّة تتحدّى مخلفات الألم الذّي خلفته الحرب الصّامتة.

وتذكر "ياما" علاقتها الروحانيّة مع فن الموسيقي، فعادت إلى الفرقة رغم سنوات من الانفصال والابتعاد لعلّها تستطيع معالجة الانكسار الذّي عمّ حياتها، من خلال حضورها احتفاليّة الجاز الوطنيّة، كما يقيم الروائي متناصات سردية باستحضار أسماء لمهرجانات موسيقيّة ك "مهرجانات سان فرانسيسكو، مهرجان مونتريال، فستيفال فيينا للجاز." **(26)** إضافةً إلى أسماء بعض الموسيقيين " موريس رافيل"، و" داريوس ميلهود"، " فرانسيس بولانك"، و" إيغور سترافانسكي" " كارل جنكينز"

إنّ الموسيقى هي اللّحن الشّفيف الذّي يختزل روح الوطن، ف"ياما" أرادت من خلال النوتات الموسيقيّة الحزينة أن تتوحدّ مع صورة الوطن، فالموسيقى كانت تمثّل لها النّفس الذّي يربطها بالحياة، فقد ولّدت الموسيقى الوطن الرّمزي الجميل داخل كيانها ومشاعرًا جميلةً وراقيةً تتسّم بالجمال والسّمو والفرح والنّشوة والانتعاش بعيدًا عن العنف، القهر [الموسيقى] ي، وبيع الجسد، فالرّوائي استحضرها كسلطة ثقافيّة تتحدّى مخلفات الألم وهواجس الخوف والقلق.

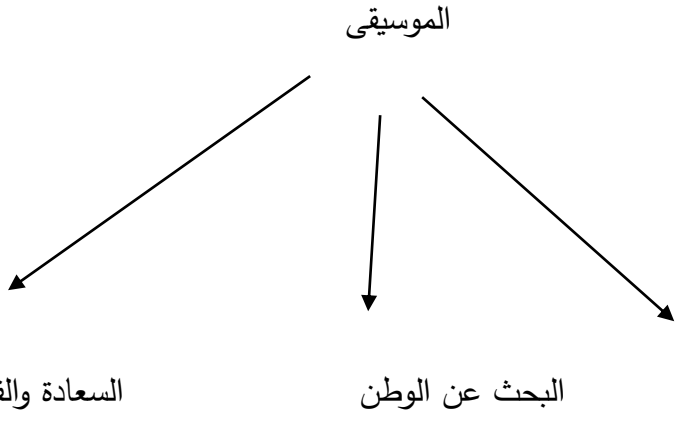

د- فن الرسم/ ثقافة الحياة والفرح:

يحضر فنّ الرّسم في الرّواية في حلّة جميلة من خلال الدلالات المتفجرّة التي بثتها لوحات "رينيه" ولوحة فياس بوريس للرّسامة الرّوسيّة "لودميلا "، إضافة إلى لوحات إيسياخم"، ولوحات إفريقيّة ويابانيّة وهنديّة، وتلك اللّوحات التي بثّت مسحة من الأمل والفرح والدفء في مناخات العنف والموت، ما تدفع الإنسان نحو التّسامي والجمال والشّفافيّة.

يمثّل الرّسم في الرّواية معطى جمالي وموتيف سردي، فالرّسم بألوانه الشّفافة الزّاهيّة استطاع أن يمسح الهزائم التي خلفتها الحرب، تقول " ياما" " لأوّل مرّة اكتشف موهبة جديدة هي موهبة الرّسم واللّعب بالألوان المعشّشة بارتباكي وخوفي وحنيني، فقد نامت الألوان الهاربة التي ترسخت في قلبي ودماغي طويلا قبل أن تستيقظ دفعة واحدة مثل شلّالات النّور المعمي للأبصار بقوّته وحدّته وفجائعيّته."**(27)**

ج- النسق الفلسفي: الحبّ/ تحقيق السعادة والتجدد/ الموت/ البحث عن الخلود/ الفراشة/ العشق الصّوفي:

- الحب/ تحقيق السعادة والتجدّد:

تعدّ تيمة الحبّ من أبرز التيمات التي كتب فيها الرّوائي "واسيني الأعرج"، حيث تحضر في كلّ أعماله، فشخصياته الرّوائية تعاني من الحبّ الشّديد، والإفراط في العشق، والاحتراق بلهيبه، والفناء في الوصال، والتوحّد في العشق إلى درجة الفناء، فهذه الحالة تشعر الإنسان بالرّغبة الجامحة في الاحتراق والاستشهاد في عشق المحبوب " ألوان أجنحتي تتطاير كلما لمع اسم فاوست أمامي، لكن هذه المرة لم يحدث شيء من ذلك كأن الألوان والدوائر تثبت بقوة فجأة لدرجة الاستكانة، إحساسي هذه المرة كان غريبا وملتبسا وغامضا أيضا..."**(28)**

فالحبّ ذلك الشّعور المفعم بالعطاء والصّفاء والنّقاء، هو أعظم شعور في الوجود، فهو الطّريق نحو تحقيق السّعادة المثلى والخلود والعظمة، فقد حُضي بمكانة هامّة جدًّا في الثّقافات العالميّة، فهو ثقافة في

حدّ ذاتها، حيث احتفى به العرب وتعددّت "أشعارهم وقصصهم حوله مبتدعين أو مختلفين عن غيرهم من الأمم، وإشادتهم بشهداء الحبّ وشعرائه، ودرجة اهتمامهم بكلّ ألوانه من العذريّة إلى الحسّية الصّريحة هو ما يتوافق وحضاراتهم ذات الطّابع العقلي والرّوحي والوجداني."**(29)**

تبرز في الرّواية حالات عشق شديدة بين أبطال الرواية الذّين يعانون من مرارة البعد ولوعة الحبّ "تتذكّر أم لا، أخبرتك يوما بأن دخولك حياتي هدية سماوية، هلة أقدار مجنونة، مقابل ابتسامات ساذجة هي كل ما استطعت أن أرسمه على واجهة حائط أزرق يتماوج في داخلي كبحر هارب في كل ليلة، أنت رجلي الذي أمضيت ساعات خلوتي منذ سنوات المراهقة الأولى، أرسم خطوط وجهه، أعدل طوله، وشكله وعاداته، أحلم بما يمكن أن أمنحه له من حب."**(30)**

والظاهر أنّ الرّوائي مولع بقصص الحب الموجودة في الثقافات العالمية، التي اتسمت بتدفق المشاعر وتهيجها، ونهايتها الحزينة، فالحب في نظر الكاتب هو ما يظل راسخا في الذاكرة الإنسانية حتى بعد موت العشاق.

- الموت/ البحث عن الخلود:

يعدّ الموت من التّيمات الفلسفيّة التي تحظى بانتباه الكتّاب والرّوائيين، فهو يمثّل سؤالًا فلسفيًّا قلقًا يشغل النّفس الإنسانيّة، ويدفعها للبحث عن هذه الظّاهرة.

يطرح الكاتب أسئلةً عديدةً حول جدليّة الحياة والموت، الوجود والعدم والبحث عن المصير، فالرّوائي يحاول أن يرصد حياة "الإنسان المعاصر الذّي يعيش أزمةً تتجلّى في كلّ شيء، تهدّده لحظة الصّفر، وتأخذه الحركة الدائريّة التي تتسلّى بالعبث."**(31)**

يتدفّق الموت بشكلٍ مهيمنٍ على مساحات المتن الرّوائي لدرجة يتحول إلى نقطة إرتكاز السّرد، فهو يجسّد رؤية الكاتب العدمية، فهذا الحضور الطاغي لهاجس الموت الكلّي في الرّوايات يجعلنا نستشفّ

حقيقة أنّ الرّوائي يمجّد الموت "ولا يستشعر بتجاوز الفناء؛ بل إنّ اِستجابته تصبح حتميّة أمام حتميّة السّطوة والتّدمير، وقدرته على الموت قدرة عدميّة."**(32)**

فالظاهر أن الروائي قد صاغ تيمة الموت صياغة فلسفية، كما نلحظ تأثره ببعض الأفكار الموجودة في بعض الثقافات العالمية التي تربط الموت بالخلود، والخصب والتّجدد، فموت الإنسان الجزائري المرادف لموت الوطن في الرواية ما هو إلا موت رمزي يراد به الجنة جنة الخلود، فهو يستشرف الحياة الجديدة المليئة بالفرح والأمل والتفاؤل وتحقيق الرقي.

فالرواية تبرز بجلاء تراجيديّة الموت ومأساويته وقساوته إبان العشرية السوداء، وصراع الإنسان الجزائري مع البقاء "الجسر أسقط منذ مدة العديد من المرات ووضعوا جسرا خشبيا يقاوم الفراغ مكانه، لا يمرّ عبره إلا السيارات الخفيفة عند الضرورات القصوى، الناس يعبرون نحو الجهة الخلفية بالجسر أو بدونه، تعوّدوا على الموت حتى أصبح لا يعنيهم كثيرا، يموتون ولكنهم يعبرون مهما كان الثمن."**(33)**

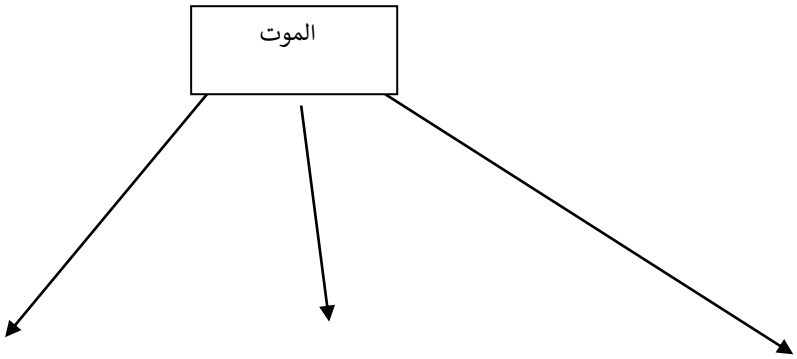

موت الوطن الصراع من اجل البقاء

البحث عن الخلود.

- **الفراشة: العشق الصّوفيّ:**

تعدّ الفراشة من الرّموز الفنيّة الجماليّة التي يوظّفها الصّوفيون عادةً من أجل التّعبير عن معاني الشّوق والصّبابة والفناء في عشق المحبوب سواءً كان وطنًا أم حبيبًا؛ بل يمكن أن نعدّها من أبرز أيقونات المتصوّفة لرصد حالات الاحتراق في نار العشق، فكلّما اِقتربت هذه الفراشة من الضّوء وبسطت أجنحتها النّورانيّة جسّدت لنا مشهد الموت الصّوفي في الحبّ.

تعدّ تيمة العشق الصّوفي من أبرز التّيمات التي كتب فيها الرّوائي "واسيني الأعرج"، حيث تحضر في كلّ أعماله، فشخصياته الرّوائية تعاني من الإفراط في العشق، والموت في عشق الحبيب، ويتمظهر رمز الفراشة في سياقات عديدة نذكر منها: "أحاول أن أنسى كل شيء وأعبر مثل الفراشة فوق ألسنة النار. أن أنام وسط ألوان يخلقها قلبي ويؤثثها جنوني الخفي. أراني أحيانًا طفلة صغيرة تركض وسط قوس قزح، تسير في التيه الجميل، في خط مستقيم قبل أن تعبث بالألوان بمتعة غريبة وبعبثية مطلقة. في أحايين أخرى أراني في فراش من أشعة الشمس الدافئة التي تحيط بي في شكل ستائر نورانية، قبل أن أتسلى بها مثل لونجا السجينة، وأظفر بها أجمل الجدائل الرائعة وأهديها لمن نجب..."**(34)**

صفوة القول إنّ رواية "مملكة الفراشة" تزخر بجملة من التّمثلات الثقافيّة والمعرفيّة مثّلت الجانب الثّقافي الجزائري، كما أبرزت أوجه التفاعل الثقافي الإنساني في صوره المتعددة.

الخاتمة:

والظاهر أن هذه الرّواية قد جمعت بين ثناياها أنساق معرفية وثقافية كثيرة كالأنساق السّياسية والاجتماعية الايديولوجية، والأنساق الحضارية والأنساق الفلسفية أوضحت لنا عملية التداخل والتحاور بين الرواية كفن أدبي وبين العلوم والمعارف الثقافية المختلفة، فهذا التفاعل أسهم في بناء الرواية وشحنها وإثرائها.

والأكيد أن الروائي بنى روايته من خلال الاستقاء من تمثلات معرفية تخصّ الثقافة الجزائرية ومعارفها، كما استفاد من عمليات التفاعل الثقافي الإنساني من خلال تقنيات كالتّناص والاستدعاء وغيرها.

الهوامش:

(1)- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافي، المركز الثقافي العربي،المغرب، ط3، 2005، ص8.

(2)- المرجع نفسه، ص18.

(3)- إسماعيل حمادي- إحسان ناصر حسين: النقد الثقافي مفهومه منهجه إجراءاته، مجلة كلية التربية/ واسط، العدد الثالث عشر،1 نيسان، 2013، ص10.

(4) – المرجع نفسه، ص11

(5)- المرجع نفسه، ص17

(6)-محمد بوعزة: سرديات ثقافية من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص161. 1، 2014

(7) واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، صادرة عن مجلّة دبي الثقافيّة، الإمارات، ط1، 2013، ص49.-

(8)- المصدر نفسه، ص62- ص63.

(9)- محمد بوعزة: سرديات ثقافية، ص.65

(10 عثمان بدري: وظيفة اللغة في الخطاب الروائي الواقعي عند نجيب محفوظ، دراسة تطبيقية، موفم للنشر، الجزائر، (د. ط)، 2000، ص28.))

(11)- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص27- ص28.

(12)- المصدر نفسه، ص171.

(13) -مجموعة من الأكاديميين: العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص.81

المصدر نفسه، ص82-83.

(14)- سورة البقرة [74]

(15)- مجموعة من الأكاديميين: العين الثالثة، تطبيقات في النقد الثقافي وما بعد الكولونيالي، ص.13

(16)- علاء مشذوب: الجسد.. صورة.. سرد، دار صفحات للنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 2014، ص.22

(17-محمد شوقي الزين: الذات والآخر، تأملات معاصرة في العقل والسياسة والواقع، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2012، ص.59

(18)- رشيدة بنمسعود، جمالية الخطاب السردي، شركة النشر و التوزيع المدارس، المغرب، ط1، 2006، ص35.

(19 المرجع نفسه، ص.283))

(-(20واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص42.

(عادل -(21فتحي حسين: وسائل الاتّصال الحديثة من الجريدة إلى الفيسبوك، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2011، ص187.

(22-(واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص44.

(23)- المصدر نفسه، ص29

(-(24فايزة يخلف: مبادئ في سيميولوجيا الإشهار، طاكسيج كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ص 23.154

-(25(واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص.14 -13

.13المصدر نفسه، ص -(24(

(26)- المصدر نفسه، ص355.

(27)- المصدر نفسه، ص.ن

(28)- المصدر نفسه، ص43.

(29)- محمّد حسن عبد الله: الحبّ في التراث العربي، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1980، ص13.

(30- واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص28.

((31- دريد يحي الخوّاجة: إشكاليّة الواقع والتحوّلات الجديدة في الرّواية العربيّة، دراسة وعي مجادلة الواقع ومتغيراته وتقنيات البنية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2000، ص13.

((32- عبد النّاصر هلال: تراجيديا الموت في الشّعر العربي المعاصر، مركز الحضارة العربيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص20.

(-(33ينظر، واسيني الأعرج: مملكة الفراشة، ص52،51.

)34)- المصدر نفسه، ص23.